علاقة المعجم بالترجمة

د. جورج متري عبد المسيح(*)

حضرات الزملاء

شكراً لمكتب تنسيق التعريب، ولكلّيّة الطب والصيدلة/ جامعة محمد الخامس، وللمغرب الشقيق على هذه الدعوة الكريمة، التي تتيح لنا مجال العرض والنقاش والتفاعل الفكريّ، في سبيل الإسهام بما نعتقده خُطوة نحو الأفضل في مجال المفاهيم والمصطلحات الطبية بخاصة والعلمية بعامة.

واسمحوا لي أن أنوه، بالمعنى المعجمي الحصري للفعل نوه، بما ورد في بطاقة الدعوة من ربط موفَّق بين المحاور الستة/ موضوع اللقاء، وما هو تاريخي ومعاصر ومستقبليّ نظرياً وعمليا تطبيقياً؛ وأن أنوِّه بتصنيف المشاركين إلى فئات بعضها يمارس الطب وبعضها يمارس اللغة، وبعضها يمارس الطب واللغة معا، وبعضها يتأمّل القضيّة كهمّ وطني أو كتجربة علميّة بدون جنسيّة. إنّ هذا التّصنيف يتساوق مع عصر الاختصاص والتَّفرُّع، لا ينبغي أن يُفهَم منه القَطع الفاصل الذي يُؤدِّي إلى جُزئيّة ضيَّقة،ونقيضه يعود إلى العمومية المهلهلة والميوعة المضلّلة. والأَسلم أن يظلّ بَيْنَ الحَصْر والشمول رابط الفَرْع بالأصل. وفي مجالنا بالذات يعني ذلك النظر إلى المسألة بهذا التصور: بصفتي عاملاً في حقل اللُّغة والمعاجم لا يُعفيني الأمر من استشارة الطَّبيب الذي يُمدّني بالمفهوم العلمي الدَّقيق للاصطلاح وقد يرْفِدني بالاصطلاح العلمي إذا كان صاحب ذوق لغويّ أو مقدرة لغوية. واللغوي، والطبيب، والطبيب اللُّغويّ لا نُدْحة لهم من تأمُّل ومُعاناة المسألة كهمّ وطني وكتجربة علميّة مجَّردة. فالهمّ الوطني يُكسِب المسألة طابعاً اجتماعياً وتدبيراً حياتيا، بحيث تتحدّد الغاية وهي فائدة الجماعات التي تتلقّى هذه المجهودات، والتجربة العلميَّة المجرَّدة ترفع البحث من الإطار الخاصّ إلى الإطار الإنسانيّ الشامل، ممّا يَعني دفعاً لعجلة الحضارة والثقافة بالمفهوم الشامل.

وقد أخذت كلمة " مسألة" بدلاً من كلمة " قضية "، لأن القضيّة تنطوي على مفهوم شامل يتناول مختلف شؤون الحياة، بينما المسألة جزئيّة، فعلوم الطّبّ على اتّساعها تُشكّل مسألة من مسائل العلوم، والعُلوم بدورها تُمثِّل مسألة من مسائل النَّشاط الإنساني المعقَّد المتداخل،وهذه وتلك تنتظم (قضيّة) الحياة باتساعها.

إن هذا التمّييز بين كلمتي مسألة وقضية اقتراح، قد يُقبل أو يُرفض، لكنه مدخل علميّ لأمرين:

الأوَّل: الأفكار والتَّصوُّرات والمفاهيم التي تُعطَى للأوعية أي الألفاظ التي تؤدِّيها المعاني .

الثاني: تَحديد المفاهيم بدقَّة للوصول إلى مصطلحات متفق عليها وموحَّدة.

هذا المدخل يقود إلى علم الاصطلاح الذي يبحث في العلاقة بَيْن المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية التي تعبِّر عنها،

(*)المشرف على القسم العربي بدائرة النشر والمعاجم - مكتبة لبنان- بيروت.

وبالتالي إلى علاقة المُعجم الطّبّي بالمعجم اللُّغوي العام، وعلاقة الاثنين بصناعة المعاجم ، وعلاقة المعاجم بالكتب والمجلات العامّة والمتخصصة.

صحيح أن الاصطلاح العلميّ لغة داخل لغة، لكن هذه المقولة لا تنفي أن لهذه اللُّغة التي تواضع عليها العلماء هي من اللغة الأمّ حينا، ومن لغات أخرى في أحايين كثيرة، كما هي الحال في العالم العربيّ.

ولأنها من اللُّغة الأمّ فقد نادي المنادون بضرورة استقراء التّرات وإحيائه لاستخدام اصطلاحات علميَّة عربيَّة ما زالت صالحة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد دعا هؤلاء إلى استخدام الوسائل اللُّغويَّة في تأمين المصطلحات الجديدة عن طريق التَّوليد: مجازاً واشتقاقاً وتعريباً ونحتاً.

ولأنها من لغات أخرى فقد أثار الغيورون، وهم درجات وأنواع، مشكلة الحدّ الذي يُسمَح به للدَّخيل كي لا تُغرق اللغُّة العربيَّة في بَحْر الألفاظ الوافدة فيطغى الدَّخيل على الأصيل. ومن الاقتراحات الخطيرة التي قُدِّمت في مَجمع اللُّغة العربية المنعقد في عمّان 1414هـ/1993م اقتراح مفاده: أنّ التّعريب بالاقتراض في مجال العلوم المتخصصة لن يغير صفاء اللُّغة لأنه سيبقى قي قاموس المتخصصين ولن يتسرَّب منه إلى صُلْب اللُّغة الاّ القليل.

وإذا حلَّلنا هذا الاقتراح تبيَّن:

- عدم مُعارَضة التَّعريب بالاقتراض.
- التعريب بالاقتراض لن يغير صفاء اللغة.
- المقترض سيبقى في المعاجم المتخصصة في معظمه
- التَّمييز الفاصل تقريباً بين المعجم اللُّغويّ والمعجم المتخصِّص.

بالنسبة إلى عدم مُعارضة التعَّريب بالاقتراض، فهذه المسألة بحاجة إلى طِبّ اجتماعيّ إلى جانب الطبّ العلاجيّ. والمقصود بالطبّ الاجتماعيّ وَضْع خُطَّة شاملة للنُّهوض بالعالَم العربيّ في مختلف شؤون الحياة، ومن ضمنها النُّهوض العلميّ.

ليس عيباً أن نستعير ونقترض من الشُّعوب الناهضة لكن العيب أن نظلّ مدينين فنكون مدانين، بدلا من أن نُصبح دائنين.

إنّ حاجتنا إلى أطباء ماهرين ضرورة ماسَّة، لكن حاجتنا إلى علماء في الطب أمسّ، يسهمون في الاكتشاف والابتكار ويَضعون هم الاصطلاحات. وهذا لا يعَني الانتقاص من الجَهْد الذي بُذل ويُبذَل لإغناء اللغُّة العربيَّة بالاصطلاحات وَضْعاً واشتقاقاً ونحتاً وتَضميناً وتركيباً وتعريباً بالتَّرجمة.

وبالنسبة إلى فكرة أنَّ التَّعريب بالاقتراض لن يُغير اللَّغة، لأنه سيبقى في مُعظمه في المعاجم المتخصّصة، فإنَّ هذا الأمر مشكوك فيه، وفيه فصل شبه تامّ بين لغة المعاجم المتخصّصة ومَعاجم اللُّغة العامَّة.

هل نحن أمام ثُنائيَّة مُعجَميَّة؟

لا يُمكن إبعاد لغة اصْطلاحات العِلْم عن اللُّغة وعن الثَّقافة العامَّة. والمعجم اللُّغويّ العامّ لا يُمكن أن يتخلص من مجموعات هامّة من الاصطلاحات العلميَّة. وقد حان الأوان لإدراج مجموعة من الاصطلاحات التي خَرجت من دائرة الاختصاص الضَّيّق إلى دائرة التَّداول خصوصاً في الصُّحُف والمجلاّت الراقية، بل إنَّ تطعيم المَعاجم العامَّة الجامعة برصيد من الاصطلاحات المُتخصّصة غير الواسعة الانتشار أنجح وسيلة لِردْم الهُوَّة بين واضع المُصطلح ومتلقّيه، وهو سبيل لِنشْر المُصطلح بَيْنَ الناس.

وبالمُقابل، فهل تستطيع المَعاجم المتخصِّصة الاستقلال نهائيّاً بلغتها عن اللُّغة العامَّة؟ وهل يمكن للمَعاجم المتخصّصة أن تبقى بِمَنْأًى عن المعاجم العامّة الواحديّة والثُّنائيّة والمتعدّدة اللُّغات؟ وما هو دور الكتب العلميّة والدَّوريَّات المتخصّصة في تزويد المعاجم العامة والخاصَّة بالمصطلحات. إنَّ تصوُّر وجود حوائل مانعة قاطعة لا يصمد أمام الواقع اللُّغويّ. كنتُ أُقلِّب صفحات من معجم طبِّيّ مُجدَّد صَدَر هذا العام، ففاجأتني مئات المصطلحات المتتالية التي هي ألصق بألفاظ اللُّغة منها بالمصطلحات العلميَّة، وهذه مجموعات معِّبرة:

- مبحث الأقاليم، مبحث الأقدام، مبحث الأكل، مبحث أمراض الأطفال... وتتوالى المباحث بالعشرات.
- عَدَم احتمال النور، عَدَم الأسنان، عَدَم الأصابع، عَدَم الألم وعَدَم البلوغ... وتتوالى هذه السلسلة بالعشرات.
- سوء التَّلاؤم، سوء التَّمثُّل، سوء الدَّوران، سوء المزاج، سوء المُمارَسة، سوء الهضم وهكذا...
- سويّ البَصَر، سويّ التَّلوُّن، سويّ الرَّأس، سويّ اللَّون، وهكذا...
- وتتوالى هذه الأمور في: اختصاصي، اختلاف، إدمان، حُبْسة ، حِدَّة.

هذه الأمثلة دليل واضح على أنَّ التسرُّب من المعاجم العامَّة والعكس، ليس قليلاً، لأن ألفاظ اللُّغة أشبه بدماء الحياة تتوزَّعها العُروق: شرايين وأوْرِدة وأوعية شعريَّة. والفارق في الكَمّ والدَّرجة بمعنى أنّ المعجم العامّ تكثر فيه الألفاظ الواسعة الاستخدام وتقل فيه الألفاظ المُتخصِّصة، والمعجم المُتخصّص تكثر فيه الاصطلاحات المُتخصِّصة وتقلّ فيه الألفاظ العامّة.والأمر نفسه يُطبَّق على الشَّرح، فالمعجم العامّ يكتقي بالشَّرح اللُّغويّ الاّ حيث تدعو الحاجة، والمعجم المُتخصِّص يَشرح شرحاً وافياً. أماّ الدِّقة والوضوح فشرط ملزم لأيّ مُعجَم.

- إنّ الدَّعوة إلى الاقتراض أو التَّعريب أو الاشتقاق تعني مسألة: عَدَم وجود المصطلح، وهذه ستبقى عالِقة لأنّ سيل المعلومات لا ينقطع، وهو يَتدفَّق علينا بدلاً من أن يتفجّر عندنا، وهذا الأمر يفرض علينا أن نظلّ نلهث في سبيل اللِّحاق بركب الإنجازات العلميَّة.
- وهناك مسألة أخرى هي وجود المصطلح الذي أتى متأخِّراً أو غير مُوفَّق أو غير دقيق أو سمجاً تعافه الأسماع، أو غامضاً يحتاج إلى ترجمة ثانية. مثل:

استغداد : Antigenicity

فَرْزَجَة Pessary.

- المسألة الثالثة هي توحيد المصطلح وهي شائكة في البلد الواحد ناهيك بالبلاد العربيّة جميعاً، وهذه تحتاج إلى خطة تربويَّة تستخدم مناهج موحَّدة وكذلك تكون البرامج متكاملة في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية، فلا نَبدأ بدراسة العلوم بالعربيَّة في المراحل الأولى ثم ننتقل إلى دراستها بلغة أجنبيّة في مراحل أخرى.

سأكتفى بمثل واحد معبر عن هذه المسألة" إنّ اصطلاح Suppositoire أوٍSuppository نَجد أنّ مُقابله في معاجم اللُّغة، كالوسيط مَثَلاً لبوس، وفي مَعاجم أخرى لغويَّة أو طبِّيَّة: حَمول، تحميلة، وسمعتُ في دمشق أكثر من شخص يستخدم: دُحْشة، والطَّبيب عندنا ومعظم الناس يستخدمون: تحميلة أو سيبّوزيتوار والذي لاحظته في بيروت ودمشق والقاهرة أن كلمة تحميلة هي الأشيع، لكن تَعميمها على العالم العربيّ، أمر ذو شؤون وشجون .

- المسألة الرابعة، هي نشر المصطلح لتضييق المسافة بين مُعرِّب أو مترجم أو واضع المصطلح ومستعمله، بحيث نُزوِّد طلاّبنا بزاد علميّ يستطيع من خلاله فهم هذه المصطلحات... ولا ننكر أن لوسائل الإعلام دوراً فاعلا في هذا المجال.
- المسألة الخامسة تحديد المصطلح أي تحديد التَّحديد، فإن كثيراً من التحديدات الواردة في معاجم اللغة غير متناسبة مع تطور العلوم الطبّيّة، حتى إن كثيراً من التحديدات الواردة في المعاجم الطبية الشارحة غير دقيقة أو يشوبها الخطأ، بل إنَّ المعاجم التي اكتفت بالمُقابل دون الشَّرح وقعت في أخطاء، فالإصلاح يُصيب جميع أصناف المعاجم، كي لا يَظَلَّ المعجم أداة تشويش وتضليل، وبمعنة أدقّ لا يجوز أن تبقى معاجمنا اللُّغوية مرجعاً لغوياً وحسب، أما ما تُسجِّله هذه المعاجم في مجالات العلوم فيكون موضع ازدراء أو لا يُركن إليه.

وقبل تسجيل بعض الأمثلة في مجال الطب، قمت عدة مرّات بعرض نماذج شروح وَرَدت في معاجم لغوية قديمة.

الزُّهريّ	مرض تناسلي خبيث معدٍ	كل مرض ينتقل بواسطة الاتصال الجنسي بمختلف وجوهه.
أرمد	البكاء العين: أصابها بالرَّمد	أرمد الفيروس العين: سبب لها الرَّمد.
الرَّمد	داء التهابي يُصيب العين	التهاب الغشاء الخارجي للعين، أسبابه عديدة منها الفيروس والحساسية،ولا يؤثِّر سلباً على النظر الاّ في حال الالتهابات.
السِّلّ	**مرض يصيب الرِّئة، يُهزل صاحبه، ويفنيه ورُبما قتله**	التهاب مزمن أو طارئ تُسبِّبه جرثومة مايْكوبكثيريا، يصيب عادة القسم الأعلى من الرئتين،وقد يصيب الكليتين والأمعاء والعمود الفقري والسحايا.

▪ المسألة السادسة تضخُّم أو تضخيم المعجم المتخصّص من دون وجه حق. فقد احتوت معظم المعاجم الطِّبِّيَّة على ألفاظ عامَّة لا تدخل ضمن الاصطلاح بالمعنى الحصري الدَّقيق لكلمة اصطلاح. واصطلاحات العلوم بعامَّة يمكن تصنيفها في فئات:

الأولى: اصطلاحات خاصَّة بعلم مُعيَّن، لا تستخدَم الاّ في هذا العلم، كأسماء الأمراض.

الثانية: اصطلاحات علميَّة مشتركة، لا ينفرد عِلْم واحد في استخدامها، عِرْق = عروق، أعراق.

الثالثة: اصطلاحات في مناطق التخوم يُمكن إدراجها في مجال علميّ ويمكن عدم إدراجها بحسَب قُوَّة الاستخدام.

الرابعة:اصطلاحات علميّة فنّية في الأساس، لكنها شاعت لدرجة أصبحت من الثورة اللغويَّة العامَّة حتى كادت تفقد صفتها الاختصاصيَّة: تلفزيون، تلفون، أشِعَّة.

الخامسة: اصطلاحات لغويَّة حملت مفهوماً اصطلاحياً فَخَرج بعضها من دائرة اللُّغة بهذا المعنى الاختصاصي أو بقي استخدامها في اللغة والاصطلاح معاً كالصلاة

أمّا الألفاظ العامَّة،التي لا تخرج عن مدلولها اللُّغوي العامّ فحشرها في المعاجم المتخصصة خلل علميّ.صحيح أنّ المعجم المتخصِّص قد يستخدمها في لغة الشَّرح لكن هذا الاستخدام لا يبرِّر تواجدها في لغة المصطلح،وهذه أمثلة من أحد المعاجم الطبية وجدت أن إدراجها غير مبرر علمياً:

instrument	– آلة
Heresy	– بِدْعَة(بغض النظر عن دقة المقابل)
Divergence	– تَبَاعُد
Contrast	– تبايُن،تَضادّ، تفاوُت (بغض النظرعن دقَّة المقابل)
Secondary	– ثانويّ
Side	– جانِب
Limit	– حَدّ
Private, Special	– خاصّ
House	– دار

Self	– ذات
Smell	– رائحة
Glass	–زُجاج
Cause	– سَبب
Tea	– شاي
Cry	–صَرْخة
Fog	– ضَباب
Dish	– طَبَق، صَحْن
Shadow	– ظِلّ
Scientist	– عالِم
Gaz	– غاز
Mouse	– فأر
Hall	– قاعة
Hate	– كُرْه
Beef	– لَحْم البقر
Water	– ماء
Fire	– نار
Fugitif	– هَارِب
Description	– وَصْف
Edible	– يُؤَكل

- المسألة السابعة عدم وجود تناسُب بين عدد المفاهيم وعدد المصطلحات التي تعبّر عن المفاهيم ، هذا في البلدان المتطورة علمياً، فكيف بنا مع البلدان النامية أو البلدان التي ما زالت بحاجة إلى قطع أشواط وأشواط في مجال

الارتقاء بعامّة والعلميّ بخاصّة.

- المسألة الثامنة عدم تدريس علم المصطلحـــات العام والخاصّ في الجامعات العربيّة، ولهذا العِلْم ضرورة لكي ينكبّ طلاّبنا على دراسة المبادئ العامّة التي تحكم وضع المصطلحات طبقاً للعلاقات القائمة بين المفاهيم العلميَّة، وعلى دراسة المشكلات المتعلِّقة بمصطلحات حقل من الحقول.

إنَّ هذه المسائل ليست الوحيدة، ولكن المنطق يحتم علينا ألاّ نتفنن بإثارة مشاكل قد تستعصي على الحلّ، وأيّ مسألة تحتاج إلى حلّ، وأيٍّ حل صحيح يجب أن يبتعد عن الارتجال والسَّطحيَّة والمزايدات وإنّما يكون بدراسة عميقة للأسباب ، ومتابعة متواصلة للمستجدات، مع تفانٍ في التَّضحيات، وروح علميَّة مُجرَّدة تجمع بين أصالة الباحث وذوق اللُّغويّ.